

وكذلك الحكم إن زعم زاعم أن الوصف الذى تحدوا إليه هو أن يأتوا بكلام ويجعلون له مقاطع وفواصل كالذى تراه فى القرآن لأنه أيضاً ليس بأثر من التعويل على مراعاة وزن، وإنما الفواصل فى الآى كالقوافى فى الشعر وقد علمنا اقتدارهم على القوافى كيف هو لو لم يكن التحدى إلا إلى فصول الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافى لم يعوزهم ذلك ولم يتعذر عليهم .

ثم إن هذه الشناعات التى تقدم ذكرها تلزم أصحاب المعرفة أيضاً ذلك أنه لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنه معجز فى نفسه، لكنه إن أدخل عليهم العجز عنه، وصرفت همهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله، وكان حالهم على الجملة حال من أعدهم العلم بشيء قد كان يعلمه وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له لكان ينبغى أن لا يتعاضمهم ولا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمرهم، وتعجبهم منه وعلى أنه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم ولكان التعجب الذى دخل من العجز عليهم، ولما رأوه من تغير حالهم ومن أن حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلاً، وأن شد دونه باب كان لهم مفتوحاً.

إعجاز القرآن فى النظم ص ٤٠٤ :

فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مزية فى أن ليس النظم شيئاً غير توخى معانى النحو وأحكامه فيما بين معانى الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه فى معانى النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعانيه وموضعه، ومكانه وأنه لا يستتبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها إلى الخدع).

يبين أن المزية فى النظم وأن المقاييس الأدبية رجراجة مائة لا يمكن ضبطها ومن هنا صعوبة إقناع من لم يوهب ملكة الإحساس الفنى:

اعلم أنك لن ترى عجباً من الذى عليه الناس فى أمر النظم، وذلك أنه ما من أحد له أدنى معرفة إلا وهو يعلم أن ههنا نظماً أحسن من نظم ثم تراهم إذا أنت أردت أن تبصرهم ذلك تسدر أعينهم وتضل عنهم أنها مهم وسبب ذلك أنهم أول شيء عدموا العلم به نفسه من حيث حسبه شيئاً غير توخى معانى النحو أو جعلوه يكون فى الألفاظ دون المعانى، فاذا أنت تلقي